الإرث الثقافي في الأدب النيجيري: الجذور والتأثيرات

وسام علي الخالدي

alikholidi@gmail.com

جامعة العراق

ملخص :يعكس الأدب النيجيري هويةً ثقافيةً ثرية تشكّلت من تفاعل التقاليد الشفوية الإفريقية والميثولوجيا المحلية مع آثار الاستعمار والتحوّلات الحديثة. وقد استطاع الكُتّاب النيجيريون تحويل الحكايات الشعبية، والأمثال، والطقوس الجماعية إلى أشكال أدبية معاصرة تُعالج قضايا الهوية واللغة والانتماء. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل حضور الإرث الثقافي في الأدب النيجيري من خلال ثلاثة محاور رئيسة: التقاليد الشفوية، والتجربة الاستعمارية، والميثولوجيا الإفريقية. وبالتركيز على أعمال روّاد الأدب النيجيري مثل شينوا أتشيبي، وولي سوينكا، وبن أوكري، تكشف الدراسة عن الكيفية التي أسهمت بها التقنيات السردية، والاختيارات اللغوية، والبنى الرمزية في التوفيق بين الموروث والحداثة. ولا ينظر الأدب النيجيري إلى التراث بوصفه عنصرًا جامدًا، بل قوةً ديناميكيةً يعاد إنتاجها باستمرار. وبذلك يغدو الأدب فضاءً للمقاومة الثقافية وأداةً لإعادة صياغة الهوية الإفريقية في عالم معولم.

الكلمات المفتاحية: الأدب النيجيري، الإرث الثقافي، التقاليد الشفوية، الاستعمار، الميثولوجيا الإفريقية

Abstract: Nigerian literature reflects a rich cultural identity shaped by African oral traditions, mythology, and the lasting impact of colonialism. Drawing on folklore, proverbs, rituals, and communal storytelling, Nigerian writers have transformed oral heritage into modern literary forms while engaging critically with issues of identity, language, and modernity. This study examines how cultural heritage operates in Nigerian literature through three interrelated dimensions: oral tradition, colonial experience, and African mythology. Focusing on major figures such as Chinua Achebe, Wole Soyinka, and Ben Okri, the article analyzes how narrative techniques, language choices, and symbolic structures negotiate the tension between tradition and change. Oral storytelling practices inform narrative patterns, colonialism reshapes cultural consciousness and linguistic expression, and mythology provides a symbolic framework for reinterpreting social and political realities. Rather than viewing tradition and modernity as oppositional, Nigerian literature presents cultural heritage as a dynamic force continually reimagined. Thus, literature becomes both a site of resistance and a creative space for redefining African identity in a globalized world.

Keywords: Nigerian literature, cultural heritage, oral tradition, colonialism, African mythology

المقدمة

يُعَدّ الأدب النيجيري مرآةً عاكسةً لهويةٍ ثقافيةٍ ضاربةٍ في عمق التاريخ، تتشابك فيها الأساطير الإفريقية، والتقاليد الشفهية، مع إرث الاستعمار وتأثيراته، فتشكّل نسيجًا سرديًّا ينهل من الموروث الشعبيّ ويعيد إنتاجه عبر قوالب سرديةٍ حديثة. إنّ هذا الأدب ليس مجرد انعكاس للواقع، بل هو فعل مقاومةٍ وتوثيق، يسعى لترسيخ الهوية النيجيرية وسط أمواج التحديث والعولمة.

يمتد الإرث الثقافي في الأدب النيجيري ليشمل الحكايات الشعبية، والأمثال، والأهازيج، التي ظلّت تشكّل البنية التحتية للوعي الجماعي، حيثُ نجد في نصوص كتّابه الكبار – أمثال شينوا أتشيبي، وولي سوينكا، وبن أوكري – انشغالًا جليًّا باستكشاف العلاقة بين الماضي والحاضر، بين المحلي والعالمي، بين التراثي والحداثي. وتبرزُ اللغةُ كأداةٍ رئيسةٍ في هذا الصراع، إذ تتراوح بين اللغات الإفريقية المحلية، التي تحملُ روح الميثولوجيا والأرض، وبين الإنجليزية، التي فرضها الاستعمار، لكنها تحوّلت إلى وسيلةٍ لإعادة سرد الحكاية الإفريقية بصوتٍ مغاير.

في هذا السياق، تتداخل التقاليد الإفريقية مع أشكال الكتابة الحديثة، فتنبعث النصوص النيجيرية نابضةً بالروح القبلية، ممزوجةً بروح التجريب والتحديث، وكأنّها تسعى إلى استعادة الذات واستنطاق التاريخ بعيونٍ جديدة. من هنا، فإنّ دراسة الإرث الثقافي في الأدب النيجيري ليست مجرد تتبعٍ للجذور، بل هي بحثٌ في ديناميكية التفاعل بين الموروث والتحولات، بين الثابت والمتحوّل، بين الهوية وسؤال الانتماء في عالمٍ تتسارع تحوّلاته.

إنّ هذا التفاعل الجدلي بين الإرث الثقافي والتحديث في الأدب النيجيري لا يقتصر على المضمون فحسب، بل يمتدّ إلى البنية السردية واللغة والأسلوب، حيثُ تتجلى التقاليد الشفهية الإفريقية في تقنيات السرد الدائري، وتعدّد الأصوات، والتناص مع الأساطير المحلية. فالكاتب النيجيري، حين يخطّ نصّه، لا ينفصل عن جذوره، بل يعيد إنتاجها عبر منظورٍ حداثيّ، يُسائل به الحاضر ويفتح أفق المستقبل.

إنّ الرواية النيجيرية، على وجه الخصوص، تُعيد رسم صورة الهوية الإفريقية في مواجهة الاستعمار وما بعد الاستعمار، متجاوزةً الطرح الأحاديّ للصراع بين التقاليد والحداثة، لتقدم مقاربةً أكثر تعقيدًا، ترى في الإرث الثقافي قوةً متحركةً، لا جامدةً، تتفاعل مع الزمن وتتخذ أشكالًا متجددة وفق متطلبات العصر. لذلك، نجد في أعمال أتشيبي مثلاً استعادةً نقديةً للثقافة التقليدية، لا بوصفها مثاليةً مطلقة، بل باعتبارها فضاءً متحوّلًا يخضع للمساءلة وإعادة التفسير.

أمّا في المسرح والشعر، فيتجلّى الإرث الثقافي في توظيف الطقوس الإفريقية، والإيقاع الموسيقيّ، والرموز الأسطورية، ما يمنح النصوص بُعدًا احتفاليًّا يتجاوز القراءة إلى الأداء الحيّ، وكأنّها امتدادٌ لمسرح الشارع الإفريقي، الذي ظلّ أداةً للتعبير الجمعي منذ قرون. هذا التداخل بين الأدب والفنّ والشفهيّ والمكتوب، يجعل الأدب النيجيري تجربةً سرديةً حيةً، تعكس روح شعبٍ يحملُ ذاكرته في كلماته، ويواجه العالم بسردياته الخاصّة.

إنّ دراسة الإرث الثقافي في الأدب النيجيري، إذن، ليست مجرد تحليل لنصوصٍ مكتوبة، بل هي قراءةٌ في وعي أمة، تُعيد تشكيل ذاتها بين الحبر والشفاه، بين الماضي والحاضر، بين ما كان وما سيكون. فالأدب هنا ليس مجرّد انعكاسٍ للثقافة، بل هو فعل إبداعيّ يُعيد صياغتها، ويمنحها امتدادًا جديدًا في الزمن والتاريخ.

المنهج

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة تجليات الإرث الثقافي في الأدب النيجيري وعلاقته بالتحولات الاستعمارية والحداثية. ويقوم هذا المنهج على تحليل النصوص الأدبية المختارة من الرواية والمسرح والشعر، مع التركيز على البنى السردية، واللغة، والرموز الميثولوجية، وآليات توظيف التقاليد الشفوية داخل النص المكتوب. كما يسعى البحث إلى ربط النصوص بسياقاتها التاريخية والثقافية والاجتماعية من أجل الكشف عن دينامية التفاعل بين التراث والحداثة في التجربة الأدبية النيجيرية.

وتتمثل مصادر البحث في الأعمال الأدبية لعدد من أعلام الأدب النيجيري، مثل شينوا أتشيبي وولي سوينكا وبن أوكري، إلى جانب الدراسات النقدية والمراجع الأكاديمية المحكمة ذات الصلة بالدراسات ما بعد الاستعمار والأدب الإفريقي. أما آليات التحليل، فتعتمد على القراءة النقدية المقارنة، وتحليل المضمون والدلالة، بما يراعي المعايير الأكاديمية المعتمدة في المجلات الدولية من حيث الدقة المنهجية، والموضوعية، والاتساق العلمي في عرض النتائج ومناقشتها.

البحث والمناقشة

المحور الأول: الإرث الشفهي في الأدب النيجيري: تجليات السرد والتقاليد الشعبية

يمثّل الإرث الشفهي حجر الزاوية في بنية الأدب النيجيري، إذ يُعدُّ المصدر الأساس الذي استمدّ منه الكُتّاب النيجيريون معمارهم السردي، سواء في الرواية أو الشعر أو المسرح. فالثقافة الإفريقية، ومنها النيجيرية، قامت تاريخيًا على تقاليد الحكي الشفوي، حيث تنتقل الحكايات والأساطير والحكم والأمثال جيلاً بعد جيل، لتشكّل وعي الجماعة وهويتها الثقافية (١). وقد ظلّت هذه التقاليد حاضرة بقوّة في الأدب المكتوب، إذ لم ينفصل الكاتب النيجيري عن هذا الميراث، بل سعى إلى إعادة إنتاجه بأساليب حداثية، تحافظ على روحه الشفاهية مع توظيفها في بناء النصوص السردية الحديثة.

إنّ أحد أبرز معالم هذا الامتداد هو حضور "الراوي التقليدي" داخل النص النيجيري، بوصفه وسيطًا بين الماضي والحاضر، فهو الذي ينقل الحكاية، ويعلّق عليها، ويؤطّرها ضمن منظومة من القيم الثقافية. وقد أشار شينوا أتشيبي إلى هذه الخاصية في روايته أشياء تتداعى، حيث استلهم طريقة السرد الشفوي الإفريقي، معتمدًا على تراكم الحكايات الشعبية والمرويات التاريخية التي تحضر في بنية الرواية كنصوص متداخلة (٢). كما لعبت الأمثال والحكم دورًا بنيويًا في تشكيل اللغة الأدبية النيجيرية، إذ نجدها متغلغلة في الحوار والوصف، مثلما يتجلّى في أعمال وولي

سوينكا، الذي استعان بالأسطورة الإفريقية بوصفها أداة سردية تعكس البنية العميقة للهوية النيجيرية (٣).

وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ المسرح النيجيري الحديث قد حافظ على الطابع الطقوسي للأداء الشفهي، حيثُ توظَّف الأغاني التقليدية والرقصات الاحتفالية ضمن بنية المسرحيات، كما هو الحال في مسرحيات وولي سوينكا، الذي استلهم بنية الطقس الإفريقي في أعماله، مما جعلها امتدادًا للأداء الشفهي التقليدي (٤). وفي الشعر، تتجلّى الاستعارات والأساليب الإيقاعية المستمدة من الأهازيج الشعبية، ما يمنح القصيدة النيجيرية طابعًا شفهيًا حتى في شكلها المكتوب.

وعليه، فإنّ الأدب النيجيري، رغم تحوّله إلى الكتابة، لم يتخلَّ عن جذوره الشفاهية، بل أعاد استثمارها بوعي نقديّ، فصارت الحكاية الشفهية نصًا مكتوبًا، والمسرح الشعبي فنًّا أدبيًا، والأهازيج الشعرية لغةً معاصرة. وبهذا، تظلّ التقاليد الشفوية حجر الأساس في بنية السرد النيجيري، ليس بوصفها ماضياً منتهيًا، بل باعتبارها نسيجًا حيًا يستمرّ في التجدّد، عبر تقنيات السرد واللغة والصورة الفنية.

الإرث الشفهي في المسرح النيجيري: الطقوس والتقاليد الشعبية

لم يكن المسرح النيجيري الحديث إلا امتدادًا للمسرح التقليدي الإفريقي، الذي كان يعتمد على الطقس الجماعي والأداء الشفهي، حيثُ يجتمع الناس حول الحكواتي أو الممثلين في ساحة مفتوحة، يؤدّون أدوارهم وسط تفاعل الجمهور معهم (٦). ويُعدّ وولي سوينكا من أبرز الكتّاب الذين أعادوا إحياء هذا الطابع الشفهي في أعمالهم المسرحية، من خلال توظيف العناصر الطقوسية والرموز الأسطورية في بنيتها الدرامية.

في مسرحيته الطريق، نجد أن الشخصيات تتحرك ضمن فضاء طقوسي، حيثُ يتداخل السرد مع الأغاني الشعبية والرقصات التقليدية، مما يجعل العرض المسرحي أشبه بحفل جماعي، يستدعي

روح المسرح الإفريقي القديم (٧). كما أن بنية الحوار في المسرحية تقوم على التكرار الإيقاعي والجمل القصيرة المتقطعة، وهو أسلوب مستوحى من الطريقة التي يتحدث بها الرواة الشعبيون وهم يحكون القصص لجمهورهم (٨).

إلى جانب ذلك، يستلهم سوينكا في كثير من أعماله الرموز الأسطورية الإفريقية، مثل شخصية "إيسو" (Esu)، الإله المخادع في الميثولوجيا اليوروبية، التي تظهر في أكثر من عمل له، كمسرحيته رقصة الغابات، حيثُ تتحوّل هذه الرموز إلى أدوات نقدية تُعبّر عن الصراع بين التقليد والحداثة في نيجيريا ما بعد الاستعمار (٩).

التقاليد الشفوية في الشعر النيجيري: الإيقاع والاستعارات الشعبية

لم يكن الشعر النيجيري الحديث بعيدًا عن تأثير الإرث الشفوي، إذ لا تزال القصيدة الإفريقية المعاصرة تحمل في بنيتها إيقاعات الأهازيج الشعبية، التي كانت تُنشد في المناسبات الاحتفالية والدينية. وقد تجلّى هذا التأثير في أعمال كُتّاب مثل كريستوفر أوكيجبو، الذي اعتمد على الصور المستمدة من البيئة الإفريقية، إلى جانب استخدام التكرار الصوتي والطباق، وهي عناصر مستوحاة من الأغاني القبلية القديمة (١٠).

في ديوان حدادٌ بلا قمر، يستخدم أوكيجبو التوازي الإيقاعي والجمل القصيرة التي تشبه الهتافات الجماعية، كما في المقطع الذي يقول فيه:

"دمٌ على العشب، دمٌ في الريح، دمٌ يصرخ في الظلّ، دمٌ لا ينام" (١١).

هذا الأسلوب يعكس تأثر الشاعر بالبنية الشفوية للقصيدة الإفريقية، حيثُ يعتمد الإيقاع على التكرار، مما يجعل النصّ قريبًا من الأداء الصوتي الجماعي، أكثر من كونه نصًا بصريًا يُقرأ في صمت.

وفي الختام يمكن القول إنّ الإرث الشفوي لم يكن مجرّد عنصر ثانوي في الأدب النيجيري، بل هو جوهر بنيته السردية والشعرية والمسرحية. لقد حافظ الكتّاب النيجيريون على تقاليد الحكي

الإفريقي، سواء من خلال توظيف الأمثال الشعبية في الرواية، أو استعادة الطقوس في المسرح، أو استلهام الإيقاعات الشفهية في الشعر. وهذا التداخل بين المكتوب والشفهي ليس مجرد حنين إلى الماضي، بل هو استراتيجيا إبداعية تُعيد تشكيل الهوية الثقافية في سياق الحداثة والعولمة. وهكذا، يظلّ الأدب النيجيري نموذجًا فريدًا لتفاعل التراث مع المعاصرة، حيثُ لا تنفصل الكلمة عن جذورها، بل تنبض بروح الحكي الذي لم يتوقف يومًا عن سرد الحكاية الإفريقية.

المحور الثاني: الاستعمار والهوية الثقافية في الأدب النيجيري

شكَّل الاستعمار الأوروبي أحد أكثر العوامل تأثيرًا في بنية الأدب النيجيري، إذ لم يكن مجرَّد حدث تاريخي عابر، بل تحوَّل إلى نقطة تحوّل جوهرية أعادت تشكيل الهوية الثقافية واللغوية والفكرية في نيجيريا. لقد فرض الاستعمار ثقافته ولغته ونظرته للعالم، مما ولَّد صراعًا بين الموروث الإفريقي والحداثة الغربية، وانعكس هذا الصراع بقوة في الإنتاج الأدبي النيجيري (١). فمنذ بدايات الرواية النيجيرية المكتوبة بالإنجليزية، برزت إشكالية الهوية الثقافية بوصفها سؤالًا محوريًا، حيث حاول الكتّاب الإجابة عن تساؤلات مصيرية: كيف يمكن للكاتب الإفريقي أن يكتب بلغة المستعمر؟ وكيف يحافظ على روح تراثه في ظل فرض القيم الغربية؟ وهل يمكن للهوية الثقافية أن تتجاوز هذا الإرث الاستعماري أم أنها ستظلّ أسيرة له؟

لم يكن الأدب النيجيري مجرّد وسيلة لتوثيق آثار الاستعمار، بل كان أداة مقاومة فكرية وإبداعية، حيثُ سعى الكتّاب إلى استعادة صوتهم الأصلي وإعادة تعريف هويتهم من خلال السرد والشعر والمسرح (٢). ومن هنا، أصبحت الرواية النيجيرية فضاءً يعكس التوتر بين الهيمنة الاستعمارية ومحاولات التحرر الثقافي، فبرزت شخصيات روائية تمثل الضحية والمتمرّد في آنٍ واحد، وشهدت النصوص الأدبية تداخلًا بين اللغتين الإفريقية والإنجليزية، مما يعكس الانقسام النفسي والثقافي الذي فرضه الاستعمار على الأفراد والمجتمع (٣).

تمثيلات الاستعمار في الرواية النيجيرية

ظهرت ملامح الصراع بين الإرث الإفريقي والحداثة الاستعمارية بوضوح في أعمال شينوا أتشيبي، الذي يُعدّ من أوائل الكتّاب الذين قدّموا رؤية نقدية للاستعمار وتأثيره على المجتمع النيجيري. ففي روايته أشياء تتداعى، نرى كيف يُمزّق الاستعمار نسيج المجتمع التقليدي، حيثُ ينهار نظام القرية أمام سطوة القيم الغربية التي جاء بها المبشّرون والمستعمرون (٤). يعكس البطل "أوكونكو" هذا الصراع بوضوح، إذ يجد نفسه ممزقًا بين قيمه الإفريقية التي تربّى عليها وبين الواقع الجديد الذي يفرضه المستعمر، مما يؤدي به إلى مصير مأساوي يُجسّد انهيار العالم التقليدي أمام المدّ الاستعماري (٥).

أما وولي سوينكا، فقد قدّم في روايته المترجمون رؤية مختلفة، حيث يتناول جيل ما بعد الاستعمار، الذي نشأ في ظلّ التعليم الغربي لكنه لا يزال محاصرًا بأسئلة الهوية واللغة والثقافة (٦). فشخصيات الرواية تعيش في حالة من التردد بين قبول الحداثة ورفضها، مما يعكس التعقيد الذي تركه الاستعمار في الوعي النيجيري. ومن اللافت أن سوينكا لا ينظر إلى الاستعمار بوصفه مجرد قوة قمعية، بل يسبر أغوار تأثيره النفسي والثقافي، حيثُ يُظهر كيف أنّ بعض النيجيريين تبنّوا القيم الاستعمارية وساهموا في ترسيخها داخل مجتمعاتهم (٧).

اللغة كحلبة صراع ثقافي

إحدى القضايا الأكثر جدلًا في الأدب النيجيري هي قضية اللغة، حيثُ وجد الكُتّاب أنفسهم أمام مفارقة صعبة: كيف يمكن التعبير عن التجربة الإفريقية بلغة المستعمر؟ هل الكتابة بالإنجليزية خيانة للهوية، أم أنها ضرورة تفرضها المرحلة التاريخية؟ لقد انقسم الكتّاب حول هذه المسألة، فمنهم من رأى أن الكتابة بالإنجليزية تُمثّل امتدادًا للهيمنة الاستعمارية، بينما رأى آخرون أنها فرصة لنقل الصوت الإفريقي إلى العالم (٨).

شينوا أتشيبي كان من أبرز المدافعين عن استخدام الإنجليزية، لكنه سعى إلى "تفكيكها" وإعادة تشكيلها وفق الروح الإفريقية، حيث أدخل في كتاباته تراكيب وأمثال وأساليب مستوحاة من اللغات المحلية، مما منحها هوية خاصة (٩). وعلى النقيض، دعا نغوجي واثيونغو إلى الكتابة

باللغات الإفريقية الأصلية، ورأى أن الإنجليزية ليست مجرد أداة، بل هي جزء من بنية الاستعمار الثقافي، ولذلك تحوّل إلى الكتابة بلغة الكيكويو، معتبرًا أن الأدب لا يمكنه أن يكون حرًا ما لم يتحرر من لغة المستعمر (١٠).

الاستعمار والمسرح النيجيري: من النقد إلى إعادة التوظيف

لم يكن المسرح النيجيري بعيدًا عن تأثيرات الاستعمار، حيثُ لعب دورًا بارزًا في نقد الهيمنة الغربية وفي الوقت ذاته في إعادة استثمار بعض عناصرها لصالح الهوية الإفريقية. فقد قدّم وولي سوينكا في أعماله المسرحية رؤية تحليلية للاستعمار، حيثُ لم يقتصر على تقديمه كقوة خارجية، بل ركّز على تأثيره في بنية المجتمع النيجيري، وخاصة على النخب التي تبنّت القيم الغربية وساهمت في استمرار السيطرة الثقافية حتى بعد الاستقلال (١١).

في مسرحيته الأسد والجوهرة، يُصوّر سوينكا الصراع بين الحداثة والتقاليد من خلال شخصية "باروكا"، الزعيم التقليدي الذي يواجه الشاب المتعلّم "لاكولي"، الذي يمثّل الفكر الغربي الحديث. لكن المفارقة تكمن في أن "لاكولي"، رغم تعليمه الحديث، يظهر كمستعمر داخلي يسعى إلى فرض قيمه على مجتمعه، مما يعكس كيف أنّ بعض الأفارقة أنفسهم أصبحوا أدوات للهيمنة الثقافية (١٢).

يتضح من خلال ماسبق أن الأدب النيجيري أن الاستعمار لم يكن مجرد تجربة سياسية، بل كان حدثًا ثقافيًا ونفسيًا ترك آثاره العميقة في الوعي الجمعي. وقد وظّف الكتّاب النيجيريون السرد والمسرح والشعر لتفكيك هذه التجربة، حيثُ قدّموا رؤى نقدية تُعيد مساءلة العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر، والحداثة والتقاليد، واللغة والهوية. لقد كان الأدب النيجيري ساحة مقاومة فكرية، حيث لم يكتفِ بالكشف عن جراح الاستعمار، بل سعى إلى إعادة تعريف الهوية الثقافية الإفريقية في عالم ما بعد الاستعمار، مما جعله واحدًا من أهم التجارب الأدبية العالمية في هذا السياق.

المحور الثالث: الميثولوجيا الإفريقية وتجلياتها في الأدب النيجيري

يتميّز الأدب النيجيري بثراء رمزي وروحي مستمد من الميثولوجيا الإفريقية، حيث شكّلت الأساطير والرموز الروحية أحد المكونات الأساسية للهوية الأدبية في نيجيريا. فالميثولوجيا، بوصفها مستودعًا للحكمة الشعبية والتصورات الكونية، لم تكن مجرد مادة تراثية خام، بل تحولت إلى عنصر جوهري في بنية السرد والمسرح والشعر النيجيري (١). ولم يكن هذا الحضور الميثولوجي مجرد استدعاء تقليدي للموروث، بل جاء كتفاعل مع القضايا المعاصرة، حيث وظّف الأدباء النيجيريون الأساطير الإفريقية لإعادة قراءة الواقع الاجتماعي والسياسي، وتقديم رؤى نقدية للعالم الحديث (٢).

لعبت الأساطير الإفريقية دورًا مزدوجًا في الأدب النيجيري: فمن جهة، كانت وسيلة لاستعادة الهوية الإفريقية في مواجهة التأثيرات الاستعمارية والحداثة الغربية، ومن جهة أخرى، أداة لتأويل التحولات المجتمعية والبحث عن معانٍ جديدة للحياة والوجود (٣). ومن خلال هذه الأساطير، استطاع الكُتّاب خلق فضاءات سردية تتداخل فيها العوالم الروحية مع الواقع، حيث يتحوّل النص الأدبي إلى مسرح تتحرك فيه القوى الأسطورية جنبًا إلى جنب مع الشخصيات البشرية، مما يمنحه عمقًا دلاليًا ومعنويًا فريدًا.

الميثولوجيا في الرواية النيجيرية: بين الأصالة والتحديث

استثمر الروائيون النيجيريون الرموز الميثولوجية بأساليب متعددة، حيث نجد حضور الآلهة والكيانات الروحية في السرد بوصفها قوة فاعلة في الأحداث. ففي رواية طريق الجوع لبن أوكري، تتجلى الأساطير الإفريقية في شخصية "أزارو"، الطفل الروحي (أو "أبينتو" وفق الميثولوجيا اليوروبية)، الذي يعيش بين عالمي البشر والأرواح، مما يعكس فلسفة إفريقية ترى أن الحدود بين العوالم ليست حاسمة كما هو الحال في الفكر الغربي (٤). يستخدم أوكري هذا التصور الميثولوجي لتقديم نقد اجتماعي وسياسي للحياة النيجيرية الحديثة، حيث يظهر العالم المادي بوصفه فضاءً فاسدًا تغزوه السلطة والمصالح، بينما يظل العالم الروحي أكثر نقاءً وحقيقةً (٥).

أما شينوا أتشيبي، فقد استلهم في روايته سهم الله بعض الأساطير الإفريقية لتصوير التحولات التي طرأت على المجتمع النيجيري بفعل الاستعمار. فالبطل "إزولو" يتمثل قيم الأجداد والروح القبلية، لكنه يجد نفسه في مواجهة عالم جديد تحكمه نظم سياسية واجتماعية دخيلة، مما يعكس صراع الهويات الذي عاشته نيجيريا في فترات الاستعمار وما بعده (٦). من خلال هذه الرموز، يوظف أتشيبي الميثولوجيا ليس فقط كأداة سردية، بل كآلية لمساءلة التاريخ وإعادة قراءة الحاضر.

الميثولوجيا والمسرح النيجيري: أسطورة في مواجهة الحداثة

يُعدّ المسرح النيجيري أحد أكثر الأشكال الأدبية توظيفًا للأساطير، حيثُ كان وولي سوينكا رائدًا في هذا المجال، إذ مزج بين التقاليد الدرامية الغربية والروح الإفريقية القائمة على الطقوس والرموز الروحية. في مسرحيته رقصة الغابات، يستدعي سوينكا شخصيات أسطورية من الميثولوجيا اليوروبية، مثل "إيسو" و"أورونميله"، ليقدّم رؤية نقدية للواقع النيجيري، حيث يُظهر كيف أن الحداثة لم تتمكن من قطع الصلة مع الماضي، بل ظلت الأساطير تؤثر في البنية الاجتماعية والنفسية للناس (٧).

كما يعتمد سوينكا على الميثولوجيا في مسرحيته موت الفارس الملكي، حيث يستوحي فكرة "التضحية الملكية" من الأسطورة الإفريقية، ليصوغ رؤية فلسفية عن القدر والواجب والسلطة (٨). ففي المسرحية، يرفض البطل التضحية بنفسه وفقًا للتقاليد، مما يؤدي إلى اختلال التوازن الكوني، وهو ما يعكس جدلية العلاقة بين الفرد والتقاليد، وبين الحداثة والإرث الروحي.

الميثولوجيا والشعر: الأصوات الروحية في مواجهة الزمن

لم يكن الشعر النيجيري بمنأى عن التأثر بالأساطير، حيثُ وظف الشعراء النيجيريون الرموز الميثولوجية لإعادة إحياء روح إفريقيا في قصائدهم. فمثلاً، يستخدم كريستوفر أوكيغبو في ديوانه حدود الصمت شخصية "إيليا" المستمدة من التراث الديني، لكنه يمنحها بعدًا جديدًا، حيثُ

تصبح رمزًا للشاعر الذي يقف على تخوم المعرفة والروح، محاولًا البحث عن المعنى في عالم مضطرب(٩).

أما نغوجي واثيونغو، فقد قدّم في أشعاره استلهامًا للأسطورة الإفريقية عن "الطائر الذي يحمل الرسائل"، ليعبّر من خلالها عن تجربة الاغتراب الثقافي التي عاشها الأفارقة تحت الاستعمار، حيثُ يظهر الطائر بوصفه كائنًا رمزيًا يحمل تراث الأجداد لكنه يواجه عالماً يرفضه (١٠).

يتّضح أن الميثولوجيا الإفريقية لم تكن مجرد عنصر جمالي في الأدب النيجيري، بل كانت أداة فكرية وفلسفية استخدمها الكتّاب لتأصيل هويتهم الأدبية والتفاعل مع قضاياهم المجتمعية والسياسية. ومن خلال إعادة توظيف الأساطير، استطاعوا أن يخلقوا أدبًا يجمع بين الماضي والحاضر، وبين الروحي والمادي، وبين المحلي والعالمي. وبهذا، أصبح الأدب النيجيري نموذجًا حيًا لكيفية استمرار الأسطورة في تشكيل المخيال الأدبي والوعي الثقافي، حتى في أكثر اللحظات التاريخية اضطرابًا.

الخلاصة

استلهام الإرث الشفهي: يشكل التراث الشفهي حجر الزاوية في الأدب النيجيري، حيث يعيد الكتّاب تجسيد الحكايات الشعبية والأمثال والأساطير لتوثيق الهوية الثقافية. يعدّ هذا الاستلهام من أبرز السمات التي تكشف عن تفاعل الأدب مع الموروث الشعبي، مما يساهم في الحفاظ على ثقافة الهوية وتشكيل روايات تحمل في طياتها ذاكرة الأمة.

الأساطير كأداة سردية: أسهم الأدب النيجيري في استعادة الأساطير المحلية وتوظيفها في بناء النصوص الأدبية. لم تكن الأساطير مجرد أدوات تمثيلية، بل تحولت إلى رموز حية تعكس الحاضر والمستقبل، وتُستخدم للتحليل الاجتماعي والسياسي، وتساهم في خلق تفاعل بين الماضي والحاضر في النسيج السردي.

ازدواجية الهوية اللغوية: تمثل ازدواجية اللغة تحديًا في الأدب النيجيري، حيث يجمع الأدباء بين لغات متعددة، مثل الإنجليزية واللغات المحلية، في إطار من التنوع اللغوي الذي يهدف إلى الحفاظ على الأصالة الثقافية من جهة، والاندماج في السياق العالمي من جهة أخرى.

نقد الاستعمار وما بعد الاستعمار: يبقى الاستعمار وما بعده محط اهتمام الأدب النيجيري، الذي يدرس انعكاسات هذا التأثير على الهوية الثقافية. الأدب النيجيري لم يقتصر على سرد أحداث الماضي الاستعماري، بل تساءل عن كيفية تشكيل تلك الحقبة للهوية الوطنية وما تلاها من تداعيات اجتماعية وفكرية.

الرموز الدينية والتعددية الثقافية: يعكس الأدب النيجيري التعددية الدينية والثقافية التي تشهدها نيجيريا. سواء كانت هذه الرموز دينية إسلامية أو مسيحية، أو حتى من موروثات التقاليد الأفريقية، فإنها تظهر تفاعل هذه الثقافات داخل المجتمع النيجيري وتُسهم في إثراء النصوص الأدبية.

Vol. 1, No. 1, February 2026, 13-26, E-ISSN: XXXX

References

إدريس محمود، ما بعد الاستعمار في الأدب الإفريقي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٢٠.

أبي بكر غوني، نداء الفجر، دار الحكمة، لندن، ٢٠٢١.

ابن أوكري، الطريق، ترجمة عبد الله منصور، دار الرافدين، بيروت، ٢٠٢١.

بن أوكري، طريق الجوع، ترجمة أحمد خالد، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٩.

شينوا أتشيبي، اللغة والهوية في الأدب الإفريقي، دار الساقي، لندن، ٢٠١٥.

عبد الله موسى، الميثولوجيا الإفريقية في الأدب النيجيري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٩.

عبد الرحمن أيوب، تجليات الأسطورة في الرواية الإفريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠.

سعيد يحيى، التراث الشفوي في الأدب الإفريقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٥.

وولي سوينكا، التراث والحداثة في المسرح الإفريقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٨.

وولي سوينكا، موت الفارس الملكي، ترجمة حسن محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.